

ما ينوب عن الفاعل:

إذا بُنيَ الفعل للمجهول أُقيمَ المفعول به مقامَ الفاعل. فإذا لم يكن في الجملة (الممثلة) مفعولاً به أُقيمَ الجارُّ والمجرورُ مقامه نحو قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) (سُجِّلَ فِي الْهَدَفِ) أو الظرفُ المتصرفُ (غيرُ الملازم للنصبِ على الظرفية) نحو (صِيَمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ) ، أو المصدرُ المتصرفُ (غيرُ الجامد) نحو (سُئِلَ سُؤَالٌ وَاضِحٌ). أما ما لا يصلحُ للنيابة كالظرف الذي لا يتصرف (ما لزم النصب على الظرفية) نحو (سَحَرَ) - إذا أُريدَ به سَحَرُ يَوْمٍ بَعِينِهِ - ونحو (عندَ) ؛ فلا نقولُ: (رَكِبَ سَحَرٌ) ، ولا (جَلَسَ عِنْدَكَ) ؛ لئلا نُخرِجهما عما استقرَّ لهما في لسانِ العربِ من لزوم النصب ، وكالمصدر الذي لا يتصرفُ نحو (مَعَاذَ اللَّهِ) ؛ فلا يجوزُ رفعُ (مَعَاذَ اللَّهِ) لأنه يُلازمُ النصبَ على المصدرية فقط ولا يمكنُ رفعه على أنه (نائبُ فاعلٍ) أو (فاعلٌ مجازيٌّ). ويُشترطُ في (الجارِّ والمجرورِ) ألا يكونَ حرفُ الجرِّ مما لزمَ طريقةً واحدةً في الاستعمالِ كـ(مُذٌ ، وَمُنْذٌ ، وَرُبٌّ ، وحرفُ القَسَمِ) ، وألا يدلَّ على تعليلٍ كـ(اللام ، والباء ، ومن التعليلية).

يرى البصريون - إلا الأخفش - أنه إذا وُجدَ بعد الفعلِ المبنيِّ للمجهولِ مفعولٌ به ، ومصدرٌ ، وظرفٌ ، وجارٌّ ومجرورٌ تَعَيَّنَتِ إقامةُ المفعولِ به مقامَ الفاعلِ ؛ فتقولُ: (ضُرِبَ الْمَسِيءُ ضَرْبًا شَدِيدًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَمَامَ الْمَظْلُومِ فِي دَارِهِ). ولا يجوزُ إقامةُ غيره مقامه مع وجوده في الجملة.

ويرى الكوفيون أنه يجوز إقامة غير المفعول به وهو موجودٌ تقدّم ، أو تأخّر، فتقول:
(ضُرِبَ ضَرْبٌ شَدِيدٌ الْمَسِيءِ) ، و(ضُرِبَ الْمَسِيءَ ضَرْبٌ شَدِيدٌ). وكذلك في الباقي.
واستدلوا لذلك بقول الشاعر:

لَمْ يُعْنَ بِالْعَلِيَاءِ إِلَّا سَيِّدًا وَلَا شَفَى ذَا الْعَيِّ إِلَّا دُوْهُدَى

فالفاعلُ (يُعْنَ) مبنيٌّ للمجهولِ ونائبُ الفاعلِ له الجارُّ والمجرورُ (بالعلياء). ولم يجعلِ
الشاعرُ المفعولَ به (سَيِّدًا) نائبًا عنِ الفاعلِ فيقول: (سَيِّدٌ) بسببِ القافية والضرورة
الشعرية.

ومذهبُ الأخفش أنه إذا تقدّم غيرُ المفعولِ به عليه جاز إقامة كلِّ واحدٍ منهما ؛
فتقول: (كُتِبَ فِي الْوَرَقَةِ الْعَهْدُ) ، و(كُتِبَ فِي الْوَرَقَةِ الْعَهْدُ). وإن لم يتقدّم تَعَيَّنَ إقامةُ
المفعولِ به نحو (كُتِبَ الْعَهْدُ فِي الْوَرَقَةِ) ؛ فلا يجوزُ (كُتِبَ الْعَهْدُ فِي الْوَرَقَةِ).

ويأتي الفعلُ المتعدي إلى مفعولين مبنيًا للمجهولِ فإمّا أن يكونَ من بابِ (أَعْطَى) ،
أو من بابِ (ظَنَّ).

فإن كان من بابِ (أَعْطَى) فإنه يجوزُ إقامةُ الأولِ منهما وكذلك الثاني نحو (مُنَحَ
الْفَائِزُ جَائِزَةً) ، و(أُعْطِيَ عَمْرُو دِرْهَمًا). وإن شئتَ أقمتَ الثاني ؛ فتقول: (مُنَحَ الْفَائِزَ
جَائِزَةً) ، و(أُعْطِيَ عَمْرًا دِرْهَمًا) إن لم يحصلَ لبسٌ بإقامةِ الثاني.

فإذا حصل لبسٌ وجب إقامة الأول في نحو (أُعْطِيَ زَيْدًا عَمْرًا) نقول: (أُعْطِيَ زَيْدٌ عَمْرًا). ولا يجوز إقامة الثاني حينئذٍ ؛ لئلا يحصل لبسٌ من أن كل واحدٍ منهما يصلح أن يكون آخذًا بخلاف الأول.

ويرى الكوفيون أنه إذا كان الأول معرفةً والثاني نكرةً تعين إقامة الأول ؛ فتقول: (أُعْطِيَ زَيْدٌ دِرْهَمًا). ولا يجوز عندهم إقامة الثاني ؛ فلا تقول: (أُعْطِيَ دِرْهَمٌ زَيْدًا).

وإن كان الفعل من باب (ظَنَّ) وجب إقامة المفعول الأول فقط مقامَ الفاعل ، ويُمنع إقامة الثاني نحو (ظَنَّ زَيْدٌ قَائِمًا). ولا يجوز (ظَنَّ زَيْدًا قَائِمًا).

وإذا كان الفعل مما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل فيجب إقامة الأول فقط أيضًا. ويُمنع إقامة الثاني أو الثالث في نحو (أَعْلَمَ مُحَمَّدٌ عَلِيًّا الْوَصِيَّةَ إِلَهِيَّةً) ؛ فيقال: (أَعْلَمَ عَلِيٌّ الْوَصِيَّةَ إِلَهِيَّةً) ، ولا يُقال: (أَعْلَمَ عَلِيًّا الْوَصِيَّةَ إِلَهِيَّةً) ، ولا (أَعْلَمَ عَلِيًّا الْوَصِيَّةَ إِلَهِيَّةً).

ومنهم من ذهب إلى أن المسألة متوقفة على المعنى الذي يُريدُه المتكلم ، وإلى أمن اللبس.

من الشواهد القرآنية:

١- (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

شواهد من كلام الإمام عليّ (عليه السلام):

- ١- (وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ).
- ٢- (أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ).
- ٣- (وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيضاء حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ بِهِ فَرَسْخَان).
- ٤- (ثُمَّ اِزْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وَلُوجًا فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ).
- ٥- (فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى).
- ٦- (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ... يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا).
- ٧- (وَلَكِنَّهُمْ سَقُّوا كَأْسًا بَدَّلْتُهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا).

زكاة العلم نشره

أ.د. علي عبدالفتاح الحاج فرهود